

كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير

(إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون و لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم و لو أسمعهم لتولوا و هم معرضون) قال ذلك بعد قوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و رسوله و لا تولوا عنه و أنتم تسمعون و لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا و هم لا يسمعون) فقوله (و لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) لم يرد به مجرد إسماع الصوت لو جهين .
(أحدهما) أن هذا السماع لا بد منه و لا تقوم الحجة على المدعويين إلا به كما قال (و إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) و قال (لأنذركم به و من بلغ) و قال (و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .
و (الثانى) أنه و حده لا ينفع فإنه قد حصل لجميع الكفار الذين استمعوا القرآن و كفروا به كما تقدم بخلاف إسماع الفقه فإن ذلك هو الذي يعطيه الله لمن فيه خير و هذا نظير ما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) و هذه الآية و الحديث يدلان على أن من لم يحصل له السماع الذى يفقهه معه القول فإن الله لم يعلم فيه خيرا و لم يرد به خيرا و أن من علم الله فيه خيرا أو أراد به خيرا فلا بد أن يسمعه و يفقهه إذ الحديث قد بين أن كل من يرد الله به خيرا يفقهه فالأول مستلزم للثانى و الصيغة عامة فمن لم يفقهه لم يكن داخلا فى العموم فلا يكون الله